رجاء النقاش ، **محمود درويش شاعر الارض المحتلة**
(المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ١٩٧٢)

يطرح علينا كتاب رجاء النقاش ، « محمود درويش شاعر الارض المحتلة » ، العديد من الاسئلة المنهجية . فالكتاب هو محاولة نقدية لشعر محمود درويش ضمن رؤية فكرية محددة . هدفها الاساسي التعريف بالشاعر وعرض قصائده ونقدها ، ومن ثم وضعها في اطار الحركة الشعرية العربية المعاصرة . والكتاب في محاولته هذه يسقط في التقليدية النقدية التي تستخدم التصنيف التقليدي للشعر ، ولا تحاول ان تواكبه في المغامرة التي بدات الحركة الشعرية المعاصرة تشقها لنفسها منذ الخمسينات . فالشعر المعاصر بحاجة الى نقد جديد ، الى روحية جديدة ومنهجية تنبثق من قلب العملية الابداعية ولا تسقط عليها اسقاطا . لا سيما وان الحركة الشعرية المعاصرة، رغم انجازاتها الفنية ، لا تزال تشق طريقا مجهولا وجديدا . والكتاب هو دراسة لشاعر لا يزال في بدايات مغامراته الفنية. من هنا فان النقد يجب ان يتصف بالحركية التي تهدف الى كشف اتجاه تطور الشاعر وآفاقه من خلال قراءة شعره المنشور .

ان الذي يهمنا من كتاب رجاء النقاش امران اساسيان : ١ — نقاش منهجي هدفه المساهمة في البحث عن منهجية جديدة لدراسة الشعر المعاصر ، ٢ — دراسة اثر المنهج النقدي التقليدي في افراغ الشعر من طموحاته الثورية ، وتحويله الى جزء هامشي في حياتنا الفكرية .

من هنا ، فاننا سوف نبدي سبع ملاحظات تتمحور بالدرجة الاولى حسول منهجية الكتاب ورؤيته النقدية .

أ — ما هي العلاقة بين النقد الادبي والريبورتاج الصحفي ؟ الحقيقة ان الكتاب لا يعطي جوابا على هذا السؤال ، فهو في مجمله مزيج من الامرين معا . انه يريد التعريف بالشاعر وينظر الى شعره نظرة الصحفي الذي يتوجه الى قراء من مختلف الاهتمامات . لذلك فهو يريد جذب انتباه الجميع . ومن ناحية اخرى فالكتاب هو في الحقيقة سلسلة مقالات لا تربطها ببعضها وحدة السياق او وحدة الرؤية . اي ان الكتاب ليس بناء منهجيا يضيء الجوانب الغامضة من شعر درويش ، ثم يقوم بعملية نقدها ووضعها في اطاراتها التاريخية والفنية . بل هدف الكاتب يقترب من هدف الصحفي الذي يقول اشياء كثيرة دون ان يصنفها او يكتشف علاقاتها الخفية . هكذا تضيع الحدود بين نوعين مختلفين من الكتابة . فنحن امام ريبورتاج صحفي عنده طموح النقد الادبي . والناقد لا يشرح لنا منهجيته ، هل هي منهجية تاريخية اجتماعية ، او انه يقرأ النص قراءة جديدة ليكتشف ابعاده من خلال اللغة الشعرية وحدها . وعدم تحديد المنهجية ينعكس على سياق التحليل ، الذي يفقد تماسكه من البداية ، ليصبح رصفا لمعلومات كثيرة بحاجة الى التبويب ، وليصبح رصدا خارجيا لواقع تاريخي ، دون الدخول الى معاناة علاقاته الداخلية . فالمدرسة النقدية الاجتماعية لا تكتفي بعرض الواقع الاجتماعي الذي نبت فيه الشعر كما يفعل رجاء النقاش في القسم الاول من كتابه، بل تغوص في تحليل البنية الاجتماعية وعلاقاتها بسائر البنى الايديولوجية والاقتصادية والسياسية، لتصل الى نتائج نهائية او شبه نهائية في تفسير ظاهرة فنية محددة . هكذا يبقى من كتاب النقاش الجانب التقريري الذي يعرفنا بمحمود درويش الانسان . والحقيقة ان هذا الجانب لا يضيف اشياء جديدة الى معرفتنا بالشاعر التي يمكن ان نستقيها من كتابه « شيء عن الوطن » او من العدد الخاص الذي اصدرته مجلة « الطريق » اللبنانية عن أدب الارض المحتلة . ان النقطة الخطيرة التي يشير اليها هذا الكتاب هي الفراغ النقدي الكبير الذي يصاحب العملية الابداعية في بلادنا . حيث يكتفي اغلب النقد ، بالوقوف من الخارج امام الاعمال الادبية ويكتفي بتسجيل واقعها دون المساهمة في الكشف عن بنيتها الداخلية واستشراف آفاقها .

ب — ينقسم الكتاب الى تسعة عشر فصلا . الفصول السبعة الاولى هي بمثابة مقدمات يعرض فيها المؤلف لواقع العرب في اسرائيل ، ثم ينتقل ليستعرض تطور الشعر الفلسطيني من ابراهيم طوقان وعبد الرحيم محمود وابي سلمى مرورا بيوسف الخطيب وفدوى طوقان حتى يصل الى درويش والقاسم وزياد . وهذا القسم هو معالجة سريعة للحركة الشعرية الفلسطينية يغلب عليها